20030412-0006-17

اسواق بيروت القديمة بعد احدى جولات القتال

مشهد من الدمار لانعاش الذاكرة

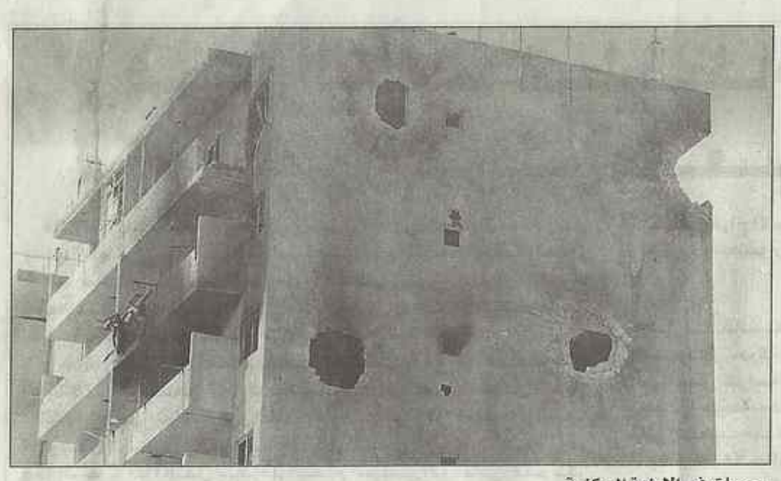
بصمات في الابنية السكنية

كتبت نينا رستم :

ما بين الأحد ١٣ نيسان ١٩٧٥ والاحد ١٣ نيسان ٢٠٠٣، ٢٨ عاماً مرت ولم يندمل خلالها جرح لبنان العميق الذي أمعنت في حفره حرب اندلعت شرارتها من حادثة عين الرمانة ولم تنطفئ الا بعد سنوات طويلة من الصراع الذي انسحب على أبناء الوطن الواحد في مواجهة بعضهم البعض وفي مجابهة الغرباء من مختلف الجنسيات، الذين أحضروا معهم قضايا جاهزة، فكانت حروب للآخرين على الاراضي اللبنانية.

و«بوسطة عين الرمانة» تعبير حفر في ذاكرة اللبنانيين ممن عاصروا الحرب، وحتى من الجيل الذي تلاهم. فمن حادثة إطلاق نار من قبل فلسطينيين على جموع من المصلين أمام كنيسة سيدة الخلاص في عين الرمانة، الى رد أهالي المنطقة باطلاق النار على بوسطة تقل فدائيين عائدين من صبرا الى تل الزعتر، تأزمت الاوضاع وتفاقمت سوءاً ودار القتل والقصف والتقنيص ودخل لبنان في أحلك المراحل.

وفي اليوم التالي اتسعت دائرة الاشتباكات فشملت الدكوانة، الشياح، عين الرمانة، المريجة، حارة حريك والكرنتينا. وسقطت قذائف على السيوفي - شارع الارز والتباريس. وامتدت الاشتباكات الى صيدا وصور وبعلبك وطرابلس حيث الهيمنة الفلسطينية قوية فأقام الفلسطينيون الحواجز وانتشروا في المناطق. واستمرت الاشتباكات في بيروت وضواحيها موقعة القتلى والجرحى الذين كان عددهم يتزايد يوماً بعد يوم. وبالرغم من الاتفاق الذي أجري بين مختلف الزعامات لوقف إطلاق النار وسحب المسلحين من الشوارع، سقط عدد من القتلى من جديد.

وخوفاً من تجدد الاشتباكات، تهافت المواطنون على شراء المواد الغذائية كالخبز واللحوم والخضار والبيض والألبان والارز، ولم تتمكن المحلات من تلبية كل الطلبات. وفي اليوم السابع استراح لبنان من الأحداث واستمرت الاجتماعات لوضع حد للازمة. وعاد النشاط الى حاله وفتحت المدارس والجامعات ونشطت الحركة التجارية، وكثفت قوى الامن الداخلي وجودها في الشوارع لمنع الاحتكاك.

في ٢٠ أيار عادت الاشتباكات الى منطقة الدكوانة وفي اليوم التالي امتدت الى الفنار والسلاف.

ازدادت حواجز الخطف وابتكرت اساليب جديدة للتصفية وتفنن المعتدون في تشويه الجثث وتسويق الموت.

تسلسل الاحداث

ومنذ كانون الثاني من العام ١٩٧٦ بدأت المواجهة تعنف. وفي كانون الاول كانت معركة الفنادق في وسط بيروت (محيط فينيسيا) التي حصدت ٤٧٠ قتيلاً.

- في ايار من العام نفسه، دخل الجيش السوري سهل البقاع.
- في ١٦ آذار ١٩٧٧، تم اغتيال الزعيم الاشتراكي كمال جنبلاط، وتضاعفت المعارك بين الافرقاء.
- في أيار ١٩٧٨، عملية الليطاني اذ قام اكثر من ٢٥ ألف جندي اسرائيلي باجتياح الجنوب وقررت الامم المتحدة ارسال قوات الطوارئ الدولية.
- في تموز ١٩٨٢ على أثر حصار بيروت، غادرها ياسر عرفات برفقة ١١ الف مقاتل.
- ١٤ أيلول ١٩٨٢ استشهاد الرئيس المنتخب الشيخ بشير الجميل في تفجير بيت الكتائب.
- ١٦ - ١٨ ايلول ١٩٨٢ وقعت مجزرة صبرا وشاتيلا حيث قضى نحو ١٥٠٠ فلسطيني، والتي نسبها تقرير لجنة كاهان الاسرائيلية الى القوات اللبنانية بشكل مباشر والى الجيش الاسرائيلي بشكل غير مباشر.
- ١٣ ايلول ١٩٨٣ انسحب الاسرائيليون من الشوف وعاليه وأعادوا انتشارهم على خط الاولي.
- ١٢ - ٢٠ آذار ١٩٨٤، فشل مؤتمر لوزان في مصالحة اللبنانيين.
- ١٦ آذار ١٩٨٤ اختطاف الدبلوماسي الاميركي ويليام باكلي وهي الحادثة الاولى من نوعها والتي كانت بداية سلسلة من الاختطافات اذ يقدر عدد الأجانب الذين اختفوا في لبنان بـ٢٤.
- ١٩ أيار - ١٨ حزيران ١٩٨٥ حرب المخيمات الأولى بين مقاتلين فلسطينيين وميليشيا أمل في صبرا وشاتيلا حيث قضى نحو ٨٠٠ شخص وجرح ٤ آلاف. ١٨ ك١ ١٩٨٥ توقيع الاتفاق الثلاثي. في دمشق بعد ١١ عاما من الحرب راح خلالها ١٠٠ الف ضحية.
- ٢٩ آذار ١٩٨٦، حرب المخيمات الثانية بين أمل والفلسطينيين في شاتيلا وبرج البراجنة والتي أوقعت نحو ٢٠٠ قتيل و٩٠٠ جريح.
- ٣٠ ايلول ١٩٨٦: حرب المخيمات الثالثة في الجنوب وبيروت حيث سبب الحصار الذي فرضته أمل على المخيمات، بمجاعة.
- ٢٢ شباط ١٩٨٧: انتشار كثيف للجيش السوري في بيروت.
- ٢٤ شباط ١٩٨٧ اشتباكات بين حزب الله والسوريين تؤدي الى سقوط ٢٣ قتيلاً من حزب الله.
- ٥ نيسان ١٩٨٧: اتفاق برعاية سورية بين امل والمنظمات الفلسطينية.

مفردات الحرب

شريط الأحداث الدامية في لبنان طويل وقد غذى ذاكرة اللبنانيين بتعابير عدة باتت إبان الحرب في أفواههم أكثر من خبزهم اليومي. ومن مفكرة الحرب تعبير خطوط التماس الذي صار رمزاً للقسمة الأمنية والسياسية في البلد. فقد شطرت بيروت الى غربية وشرقية وصارت إسماً حركياً للتقسيم الطائفي تخترقها احياناً بوابات عبور ومظاهر حياة تعايش الموت على طرفيه.

وفي المتن كانت خطوط التماس تضم المعابر الاساسية بين المناطق الشرقية والبقاع وأهميتها تطال الخرائط السياسية والعسكرية والاقتصادية. وهذه المحاور كانت أربعة وهي:

١ - صليبا - العربانية - أرصون.
٢ - المونتي فردي - رأس المتن.
٣ - شرين - زغرين.
٤ - ضهور الشوير - الدوار.

قاموس الحرب

جنرالات الحرب تعبير آخر، رموز ظهرت خلال الاحداث ومعظمهم كان من العسكر. هؤلاء الجنرالات كانت لهم اليد الطولى في الحرب. ومنذ ١٩٧٥ كثر حاملوا هذا اللقب في غياب قسري فرضته المؤامرات الدولية والإقليمية للجنرال الحقيقي في الجيش وقوى الأمن. بعضهم حمل السلاح دفاعاً عن قضية آمن بها وبعضهم فعل ذلك لأطماع خاصة.

القناص كان الاكثر شهرة، فهو أرعب الناس خصوصاً الأبرياء والمدنيين، اكثر مما فعل القصف والمدافع والقنابل. كان يختفي في الابنية والاشجار ويختار ضحاياه على حين غرة، فحل ضيفاً مرعباً وجاراً خفياً يجلب معه شبح الموت المفاجئ. هذا قليل من الكثير المختزن في الذاكرة ويحتاج الى أعجوبة لنسيانه ومحوه. وفي هذا الإطار، جرى تنظيم حملة «تتذكر ما تنعاد»، التي تسعى لإحياء اليوم الوطني للذاكرة في الثالث عشر من نيسان سنوياً ويشارك فيها عدد من الشخصيات والجمعيات الأهلية والنقابية. وأرسلت الحملة بالتعاون مع لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين في لبنان رسالة مفتوحة الى اللجنة الوزارية المكلفة إعادة النظر بالأعياد الرسمية تطالب فيها اعلان ١٣ نيسان لأن الشعوب الحضارية لا تنسى ولا تتناسى بل تتصالح مع ماضيها وتستخلص منه العبر كمدخل لتخطيه. وللمناسبة جرت دعوة الى تجمع مدني في ساحة الشهداء غداً الاحد تضامناً مع أمهات المفقودين وأهاليهم.

تجمّع مدني في ساحة الشهداء تضامناً مع امهات المفقودين

١٣ نيسان يوم وطني لانعاش الذاكرة والمصالحة

الاسواق تعاني جموداً اضافياً بسبب الحرب
واعياد الشعانين والفصح عجزت عن تحريك الوضع

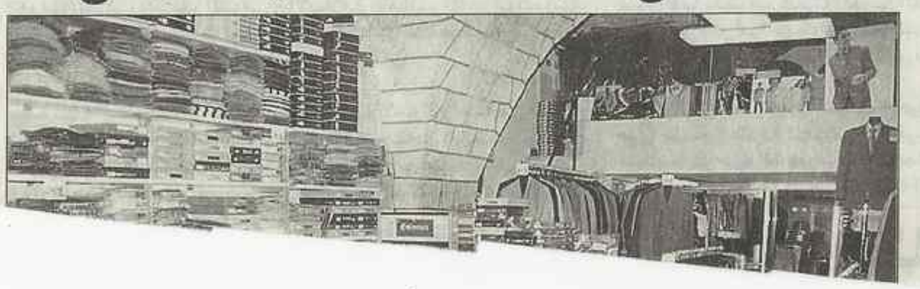

جمود، حركة شبه معدومة، وعجقة مفقودة تعودنا ان نشهدها حتى قبل اكثر من اسبوعين على حلول الأعياد... انه وصف بسيط لواقع الأسواق التجارية قبل ايام قليلة من عيد «الشعانين» ومن ثم عيد «الفصح» المجيد.

والحقيقة انه - وللمرة الاولى - تشهد الأسواق جموداً م... ١٩٩٠